

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

سلسلة أعظم القصص ١٤٤٢ هـ

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ

قصة يوسف عليه السلام مع إخوته



مركز دلائل
Dala'il Centre



قرآنة
تثويقات

✉ tashweeqatq@gmail.com

📱 @tashweeqatquran

• إلقاءه في الحب :

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: ٥١]

قال ابن كثير: «هذا فيه تعظيم لما فعلوه أنهم اتفقوا كلهم على إلقاءه في أسفل ذلك الجب، فيقال: إن يعقوب عليه السلام لما بعثه معهم ضمه إليه، وقبله ودعاه».

قال الله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣] تمتلى قصة يوسف عليه السلام بعبر متناهية، تتجلى في مشاهد لا تفارق قلب من يتدبرها، كل مشهد منها هو قصة في حد ذاته، شملت مشاهد متعددة تستعرض حالات الإنسان في مراحل عمره الزمني، والعقلي؛ والعاطفي، نبصر بها حقيقة نفس الإنسان في مختلف أطواره ضعيفاً مغلوباً على أمره، وقوياً مسيطراً، مُكَنَّاً من كل شيء، ... ومن أعظم مشاهد هذه القصة:

وَرَفَعَ
أَبُوهُ
عَلَى
الْعَرْشِ



رجال من إخوته، بقلوب غليظة نزعت عنها الرحمة،
وسلبت منها الرأفة، فإن الطبع البشري يأبى ذلك
وإن كان قد وقع منه خطأ فدع عنك الذين يتجاوز
عن ذنب الصغير ويغفره لضعفه عن الدفع وعجزه
عن أيسر شيء يُراد منه، فكيف بصغير لا ذنب له،
بل كيف بصغير هو أخ لهم وله أب مثل يعقوب
عليه السلام».

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال العز بن عبد السلام: «ألمناه، أو
نَبَّأهفي الجب»، قال الطبري: «لتخبرنَّ إخوتك بفعلهم
هذا الذي فعلوه بك وهم لا يعلمون ولا
يدرون»، قال أبو حيان: «والذي يظهر من سياق
القصة والأخبار أن يوسف كان صغيراً»، قال
الشوكاني: «وأوحينا إليه تيسيراً له، وتأنيساً لوحشته
مع كونه صغيراً اجتمع على إنزال الضرر به عشرة

وَرَفَعَ
أَبُوَيْه
عَلَى
الْعَرْشِ



• من ابتلاء الحب إلى ابتلاء السجن :

بعد أن ألقوا يوسف عليه السلام في الحب، جاء قوم مسافرون فمروا بالبئر يطلبون الماء، قال الطبري : «فأدلى أحدهم الدلو فتعلق به يوسف فخرج، فقال المدلي : يا بشرى هذا غلام»، قال الله تعالى : ﴿ وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [يوسف: ٩١]، قال أبو السعود : «أي أخفاه الوارد وأصحابه عن بقية الرفقة الذي معهم، وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنييعه لهم بمصر»، فبيع بمصر حتى وصل إلى قصر العزيز، قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾،

وَرَفَعَ
أَبُوَيْه
على
العَرْشِ

قال الشيخ السعدي : «كما يسرنا له أن يشتريه عزيز مصر، ويكرمه هذا الإكرام جعلنا هذا مقدمة لتمكينه في الأرض من هذا الطريق».

وجرى عليه في بيت العزيز فتنة اختبر فيها إيمانه، وظلم اختبر فيه صبره، قال الله تعالى : ﴿ وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف: ٣٢]، قال الشوكاني: «لفظ "راود" إذا حاول كل منهما الوطاء والجماع، وهي مفاعلة، وأصلها أن تكون من الجانبين، فجعل السبب هنا في أحد الجانبين قائماً مقام المسبب، فكأن يوسف عليه السلام لما كان ما أعطيه من كمال الخلق، والجمال

والزيادة في الحسن سبباً لمرأودة امرأة العزيز له،
﴿وغلقت الأبواب﴾ قال ابن عاشور: «وتضعيف
غلقت لإفادة شدة الفعل وقوته، أي أغلقت إغلاقاً
محكماً»، لكن الله عصم يوسف بما رآه من البرهان،
فاتهمته امرأة العزيز ظلماً لممانعته أن يطاوعها.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ
وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا
وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ
أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ
نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيَسْجَنَنَّ
وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ١٣، ٢٣]

قال الطبري: «وهذا الخبر من الله يدلُّ على أن امرأة
العزيز قد عاودت يوسف في المراودة عن نفسه،
وتوعَّده بالسَّجن والحبس إن لم يفعل ما دعته إليه،
فاختار السجن على ما دعته إليه من ذلك؛ لأنها لو
لم تكن عاودته وتوعَّده بذلك، كان محالاً أن يقول: ﴿قَالَ
رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي
كَيِّدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، وهو لا يدعى إلى
شيء، ولا يخوِّف بحبس».

قال ابن عاشور: «لأن تمالى الناس على طلب الشيء من
شأنه أن يوطن نفس المطلوب للفعل، فأظهر أن تمالهن
على طلبهن منه امثال أمر المرأة لم يفل من صارم عزمه
على الممانعة، وجعل ذلك تمهيداً لسؤال العصمة من

تشيع القالة في شأنها وشأن براءة يوسف فرامت أن تغطي ذلك بسجن يوسف حتى يظهر في صورة المجرمين بإرادته السوء بامرأة العزيز»، قال عكرمة: «فسجن سبع سنين»، وبعد مضي المدة التي كتبها الله ليوسف بالسجن أذن بخروجه، وأظهر براءته على الملاء.

قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوْدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ قال الطبري: «يعني ملك مصر الأكبر، حين تبين عذر يوسف وعرف أمانته وعلمه، قال لأصحابه: أجمعه من خلصائي دون غيري».

الوقوع في شرك كيدهن، فانتقل من ذكر الرضى بوعيدها إلى سؤال العصمة من كيدها، وأسند الفعل إلى ضمير جمع النساء مع أن التي دعت امرأه واحدة، إما لأن تلك الدعوة من رغبات صنف النساء فيكون على وزان جمع الضمير في كيدهن، وإما لأن النسوة اللاتي جمعتهم امرأة العزيز لما سمعن كلامها تمالأن على لوم يوسف وتحريضه على إجابة الداعية، وتحذيره من وعيدها بالسجن».

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾، قال ابن عاشور: «حين شاعت القالة عن امرأة العزيز في شأنه فكان ذلك عقب انصراف النسوة؛ لأنها خشيت إن هن انصرفن أن

وَرَفَعَ
أَبْوَيْه
على
العَرْشِ

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

قال أبو السعود: « وإنما لم يذكر إجابة الملك إلى ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الأرض إيدانا بأن ذلك أمر لا مردّ له، غني عن التصريح به؛ وللتنبية على أن كل ذلك من الله عز ووجل وإنما الملك آلة في ذلك»، قال مجاهد: «أسلم الملك الذي كان معه يوسف»، قال ابن زيد: «كان ملك مصر خزائن كثيرة غير الطعام قال: فأسلم سلطانه كُله إليه، وجعل القضاء إليه، أمره وقضاؤه نافذ».

• لقاء يوسف عليه السلام بإخوته :

أسند الطبري إلى ابن إسحاق، قال: «لما اطمأن يوسف في ملكه، وخرج من البلاء الذي كان فيه، وخلت السنون المخصبة التي كان أمرهم بالإعداد فيها للسنين التي أخبرهم بها أنها كائنة، جُهد الناس في كل وجه، و ضربوا إلى مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلدة، وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد قد ساوى بينهم، وكان لا يحمل للرجل إلا بغيراً واحداً، ولا يحمل للرجل الواحد بغيرين تقسيطاً بين الناس، وتوسيعاً عليهم، فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر، فعرفهم وهم له منكرون، لما أراد الله أن يبلغ ليوسف عليه السلام فيما أراد».

قال ابن كثير: «لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام وعموم الجذب، وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه، مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة، فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورحمة وشفقة على أبيه وإخوته، وبدره البكاء، فتعرف إليهم»، قال: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ قَالُوا أَتَيْتُكَ لِأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾

قال الطبري: «فخرجوا راجعين إلى مصر حتى صاروا إليه، فدخلوا عليه، فقالوا ﴿ مسنا وأهلنا الضر ﴾: أي الشدة من الجذب والقحط»، ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾: قال ابن عاشور: «والمزجاة: القليلة التي لا يرغب فيها فكأن صاحبها يزجها، أي يدفعها بكفة ليقبلها المدفوعة إليه»، وقد رأوا ما نزل بأبيهم، وتتابع البلاء عليه في ولده وبصره، فلما دخلوا عليه، قالوا ﴿ يا أيها العزيز ﴾، رجاء أن يرحمهم في شأن أخيهم مسنا وأهلنا الضر».

وَرَفَعَ
أَبُوهُ
عَلَى
الْعَرْشِ

قال الطبري : « لا إفساد لما بيني وبينكم من الأخوة، ولكم عندي الصفح والعفو » قال ابن كثير : > ثم زادهم بالدعاء لهم بالمغفرة، فقال : ﴿ يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ ، قال الشوكاني : « أخبرهم بأن الله قد غفر لهم ذلك اليوم على تقدير الوقف على عليكم، وهو أرحم الراحمين يرحم عباده رحمة لا يتراحمون بها فيما بينهم ».

قال ابن عاشور : « جعل ذلك الزمن زمن جهالتهم بقوله "إذ أنتم جاهلون"، وفيه تعريض بأنهم قد صلح حالهم من بعد، وذلك إما بوحي من الله إن كان صار نبياً، أو بالفراسة؛ لأنه لما رأهم حريصين على رغبات أبيهم في طلب أخيهم الذي عند يوسف ».

قال الزمخشري : « فإن قلت : كيف عرفوه؟ قلت : رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو، مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر إلا عن حنيف مسلم من نسل إبراهيم عليه السلام، لا عن بعض أعزاء مصر ».

والثريب: اللوم والتوبيخ وما يجرى معها، والمراد : لا تعيير عليكم، قال ثعلب : « ثرّب فلان على فلان إذا عدد عليه ذنوبه »، قال الأصمعي : « ثرّبت عليه : قبّحت عليه فعله »، قال الزمخشري : « لا أثربكم اليوم، وهذا اليوم الذي هو مظنة الثريب فما ظنكم بغيره من الأيام »، قال إسحاق : « لا تأنيب عليكم اليوم فيما صنعتم »، قال البغوي : « ولا أذكر لكم ذنوبكم بعد اليوم »،

وَرَفَعَ
أَبْوَيْهَ
عَلَى
الْعَرْشِ

• ورفع أبويه على العرش :

قال الطبري : « ذكر أن يوسف عليه السلام لما عرف نفسه إخوته سألمهم عن أبيهم، فقالوا: ذهب بصره من الحزن، فعند ذلك أعطاهم قميصه، قال الله تعالى: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَمَا فَصَلتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ [يوسف: ٣٩]، قال الحسن: «لم يعلم أنه يعود بصيراً إلا بعد أن أعلمه الله عز وجل»، قال أبو حيان: «ومعنى فصلت العير: انفصلت من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب، وكان قريباً من بيت المقدس»، قال ابن كثير: «لما خرجت العير، هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف»،

وَرَفَعَ
أَبْوَيْهَ
عَلَى
الْعَرْشِ

قال ابن عاشور : «ووجدان يعقوب ريح يوسف عليهما السلام إلهام خارق للعادة جعله الله بشارة له؛ إذ ذكره بشمه الريح الذي ضمخ به يوسف عليه السلام حين خروجه مع إخوته، وهذا من صنف الوحي بدون ملك مرسل».

وأدمج الأمر بالإتيان بأبيه في ضمن تبشيره بوجوده إدماجاً بليغاً إذ قال: يأت بصيراً ثم قال: وأتوني بأهلكم أجمعين لقصد صلة أرحام عشيرته»، قال السدي: «فحملوا إليه أهلهم وعيالهم، فلما بلغوا مصر كلم يوسف الملك الذي فوقه، فخرج هو والملوك يتلقونهم»، قال البغوي : «وروي أن يوسف كان قد بعث مع البشير إلى يعقوب مائتي راحلة وجهازاً كثيراً ليأتوا بيعقوب

وَرَفَعَ
أَبُوَيْهَ
عَلَى
الْعَرْشِ

وأهله وأولاده، فتهيأ يعقوب للخروج إلى مصر، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يهودا فنظر إلى الخيل والناس، فقال: يا يهودا هذا فرعون مصر، قال: لا هذا ابنك»، قال الطبري: «وذلك أن يوسف تلقى أباه تكرمةً له قبل أن يدخل مصر»، ثم قال له ولمن معه: ﴿أَوَى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾، قال الزجاج: «أي ضم إليه أبويه». قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبُوَيْهَ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ قال البغوي:

«ورفع أبويه على العرش، أي: أجلسهما عليه، والرفع: هو النقل إلى العلو»، قال قتادة: «هذه كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة»، قال القرطبي: «وهكذا كان سلامهم بالتكفي والانحناء، وقد نسخ الله ذلك كله في شرعنا، وجعل الكلام بدلاً عن الانحناء، وأجمع المفسرون أن ذلك السجود على أي وجه كان فإنما كان تحية لا عبادة».

قال البغوي: «أحسن بي أي: أنعم علي إذ أخرجني من السجن، ولم يقل من الحب مع كونه أشد بلاء من السجن؛ استعمالا للكرم، لكيلا ينجل إخوته بعد ما قال لهم: "لا تثريب عليكم"؛ ولأنه نعمة الله عليه في إخراجهم من السجن أعظم، لأنه بعد

الخروج من الحب صار إلى العبودية والرق، وبعد الخروج من السجن صار إلى الملك»، قال ابن عرفة: «عبر بـ "الإحسان" وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن" لأن الإحسان أكثر من الإنعام؛ لأنه مشتق من الحسن فالشكرية أقوى».

﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾: البدو البسيط من الأرض يسكنه أهل المواشي، وكانوا أهل بادية ومواشي، ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، قال ابن عطية: «ونزع معناه: فعل فعلاً أفسد به، وإنما ذكر يوسف هذا القدر من أمر إخوته لبيان حسن موقع النعم، لأن النعمة إذا جاءت إثر شدة وبلاء فهي أحسن موقعاً».

قال القرطبي: «قال بعض أهل المعاني: إنما كانت قصة يوسف أحسن القصص؛ لأن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة، انظر إلى يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز، وقيل: والملك أيضاً أسلم بيوسف وحسن إسلامه، ومستعبر الرؤيا الساقى، فما كان أمر الجميع إلا إلى خير».